

الخاتمة

لقد ظهرت العقائد البارزانية في عصر لم يكن فيه تشريع مكتوب ولا سلطة قوية للدولة. وقد طبعت الحقبة التي ظهرت فيها تلك العقائد بمتانة مؤسسة الاقطاع. في القرن التاسع عشر ارتدى كفاح تكية بارزان طابعا مميزا. لقد تجسد ذلك الكفاح في اطار جعل تكية بارزان المركز الديني الوحيد بين الاكراد الذي سعى الى سياسة قوامها ازالة الارستقراطية الزراعية وتحرير الفلاحين من الجور الاقطاعي.

ليس هناك ادنى شك في ان ذلك شكّل خطوة مهمة نحو العدالة. لكن ما ابقى الاطار العام لتلك العملية التاريخية ضيقا هو انها اقتصر على البارزانيين ولم تعم مناطق اخرى. قطعا لم يكن ذلك ثورة برجوازية كلاسيكية بل كان تحركا في اطار المحافظة لأن محري الفلاحين لم يكونوا مدينيين، بل ريفيين، ولم تكن ايدولوجيتهم رأسمالية، بل دينية. وهذا لم يوفر الشروط الضرورية لتحويل الانتاج الزراعي الى انتاج بضاعي، اي من اجل تحقيق الربح. وهناك ميزة تنفرد بها مشيخة بارزان وهي عدم ظهور ارستقراطية دينية-زراعية فيها، ذلك ان العقائد البارزانية مرهونة في جوهرها بالاقتصاد الطبيعي، اي الاقتصاد الذي يعتمد على الطبيعة ولا يكون من اجل السوق.

لقد اقامت العقائد البارزانية مجتمعا تحكمه القيم السامية واعطت للجماعة هوية خاصة بالاعتماد على القواعد الاخلاقية الراسخة. وتشكل حقبة الاربعينات بداية منعطف كبير في حياة المشيخة. ففي هذه الحقبة اندمج البارزانيون بالسياسة ودفعهم ذلك الى التصادم مع بغداد. في هذه الحقبة واجه البارزانيون ظروفا صعبة، فقد تحولت اعداد منهم الى لاجئين في روسيا، وحوكم زعيمهم الشيخ احمد وعدد كبير من اتباعه وسجنوا، وتم نفي اعداد اخرى الى

مناطق بعيدة. وعلى الرغم من ان هذه المحنة زعزعت الهيكل الاجتماعي للبارزانيين، فأنها ساهمت في تطوير وعيهم القومي وانتهت عزلتهم الحضارية. في سنوات الستينات وعى الشيخ احمد المصاعب التي تعترض ابقاء جماعته بعيدة عن التأثيرات المحيطة. لقد اعتمدت سياسته على الترويج لنمط قوي من المحافظة والابقاء على نفس النظرة الانغلاقية السابقة، لكن العالم كان قد تغير لدرجة انه لم يعد يقبل وجود مجتمعات منغلقة خارج مسار الحضارة. لقد بلغ النشاط الديني للشيخ احمد اوج عزه الروحي في الستينات. ولم يكن ممكنا لشخص واحد، مهما بدرت منه المواهب والامكانيات، ان يقف بوجه تيار التغيير العارم. في عام ١٩٦٩ زالت مشيخة بارزان برحيل زعيمها.

ان العقائد البارزانية كمنظومة قيمية مترابطة سائرة الى زوال. ولذلك اسبابه. فمنذ عام ١٩٦٩ يعيش البارزانيون بلا قيادة دينية تحظى بالاجماع. وبذلك صارت الحياة الدينية للبارزانيين حرة، بمعنى ان الاطار الادبي للالتزام الديني لم يعد قويا كما كان في السابق. وقد افضى ذلك من الناحية العملية الى تهاوي المبررات النظرية للعقائد وتضعف عنفوان مجموعة كبيرة من القيم العريقة. ان منظومة القيم البارزانية تندمج تدريجيا بمنظومة القيم السنية وتفقد اصالتها وشروطها المميزة.

منذ انهيار الثورة الكردية في عام ١٩٧٥ بدأت اوسع عملية اندماج للبارزانيين بالمجتمع والحضارة. لقد صار الانغلاق الاجتماعي واقامة العلاقة مع الطبيعة جزءاً من تراث الماضي.

ان العصر الراهن يختلف بشكل جوهري عن العصر الذي ظهرت فيه العقائد البارزانية. ومن الواضح ان العوامل التي شاركت في ظهور تلك العقائد وانتشارها لم تعد موجودة. ومع تنامي المكاسب السياسية التي حققها البارزانيون واعطاء الاسبقية للقومية، التي هي اشملى واوسع من القيم القبلية القديمة، يصبح من الصعب الرجوع الى الحياة السابقة. وليس الصراع قائما بين الانغلاق والاندماج، كما كان الحال في سنوات الخمسينات والستينات واولئ السبعينات. ان على الجميع، ومن ضمنهم البارزانيون، ان يعيشوا زمنهم. وفي هذا الزمن ليس من خيار سوى الاندماج.